المقاومة في فلسطين بين سندان السلطة ومطرقة المحتلين
قراءة في الموقف والتداعيات وسبل المواجهة والتوصيات

أولاً : تفاصيل الموقف :

يتسم الموقف الذي نحن في صدده، بخلاصة هي: أن أجهزة سلطة الحكم الذاتي بدأت بإجراءات عملية لقمع المقاومة الفلسطينية ، بناء على خطط وإجراءات عمل تمت بين هذه الأجهزة ورعاتها المحليين والإقليميين والدوليين ـ الكيان ، الأردن ، مصر ، أمريكا ، وما خفي أعظم ـ ، وقد استشرست السلطة وكشرت عن نابها و(طق) شرش الحياء من جبينها ، محاولة تغليف ما تقوم به من إجراءات ضد المقاومة بأغلفة (وطنية) و (مصلحية) وأن الهدف منها حماية السلم الأهلي (تقول الناس في الضفة مذبحة بعضها) . وليس غريباً على سلطة منبثقة عن اتفاق غير متكافئ الأطراف مع محتل ، وأصل هدف وجودها تحويل الاحتلال من احتلال قميء فج السلوك ، إلى احتلال (ديلوكس) ، يحظى بالمغانم ، ولا تطاله المغارم ، ليس غريباً ولا غير متوقع منها مثل هذا السلوك ، بحيث أصبحت هذه السلطة وكل هياكلها ـ المدنية قبل العسكرية ـ وكيلاً عند المحتل ؛ وليس أدل على ذلك ما يصرخ به كبار قادة هذا الكيان المؤقت ـ الأمنين قبل السياسيين ـ ليلاً ونهاراً من أن بقاء هذه السلطة مصلحة صافية لهذا الاحتلال ! وأن عدم التضييق عليها ، ومنحها فرصة للعمل ، يوفر على المحتل جهوداً بشرية ومادية ومعنوية هو في أمس الحاجة لها . وقد استخدم عدونا في سبيل تطبيق سياسته هذه ـ تشغيل السلطة كوكيل ـ كل ما لديه من قدرات خشنة وناعمة ؛ فقد ارتبط كثير من (كبار) هذه السلطة حياتياً ومصلحياً بالمحتل ؛ فهو يسهل لهم الاستثمار ، والتنقل ، و VIP ، وبسط سلطهم وسيطرتهم على جغرافيات في الضفة ، يرى هذا العدو أن له في بسط هؤلاء سلطتهم عليها مصلحة ، كما هول هذا المحتل ووكلائه من (رجالات) هذه السلطة بأحداث غزة والحسم الذي حصل عام ٢٠٠٧ واستذكروها ، ليعبؤوا أجهزتهم والمنتسبين لها ، والأجسام التنظيمية لفتح ، انطلاقاً من أن السكوت على ما يحدث في الضفة ، وتطور المقاومة فيها سيفضي إلى سيطرة قوى المقاومة وعلى رأسها حركة حماس والجهاد الإسلامي على الضفة الغربية ، وطرد السلطة وأجهزتها منها !! مع فارق مهم كما يدّعون وهو أنه عند الحسم في غزة كانت الضفة ؛ ففروا لها ، لكن إن تكرر الأمر في الضفة ؛ فإين المفر ؟ ومما فاقم من الموقف وزاد أوار ناره ؛ تسابق الكثرين من مسؤولي هذه السلطة إلى تقديم أوراق اعتمادهم للمحتل ورعاته وأصدقائه في المنطقة والعالم ، أوراقاً ممثلة بمواجهة حركة تعاظم ونمو المقاومة في الضفة الغربية ؛ فهذا معنيّ بتقديم أوراق اعتماد للكيان ، والآخر لمصر ، وثالث أو رابع للأردن والأمريكان ، معتمدين كلهم على حسن ظنهم بعقلانية المقاومة وقادتها وأطرها السياسية والحزبية والمجتمعية ، والتي يرون أنها لن ترد صاع استهدافهم للمقاومة بصاعين ، وأنها ستكظم غيظها ، وتعض على جراحها ، ولن تقتص من عميل هنا ، أو وكيل هناك ! هذا هو الموقف ، وهذه هي تعقيداته ، فما هو الهدف من كل هذه الإجراءات ؟ نجيب على هذا السؤال في العنوان التالي . ولكن نشير قبل البدء بالتفصيل، أن توضيح الواضحات

يزيدها إبهاماً وتعقيدات ، لذلك لن نطيل الشرح ، ولن نسهب في الاستدلال ، فاللبيب من الإشارة يفهم .

ثانياً : هدف إجراءات السلطة ضد المقاومة :

تهدف سلطة الحكم الذاتي ورعاتها ؛ المحليين والإقليميين والدوليين من مطاردتها واستهدافها للمقاومة والمقاومين في الضفة إلى الغربية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف ، من أهمها ما يلي :

١. **ضرب المقاومة ومنع تطورها** :

إن أول هدف لهذه السلطة الوكيلة هو ضرب المقاومة ومنع تطورها والحد من نشاطاتها في الضفة الغربية ، فهي ـ السلطة ـ ترى في هذه المقاومة نقيضاً لمشروعها ، وكاشفاً لقبح وجهها ، وساحبة للبساط من تحد أقدامها ، ومفندة لروايتها وسرديتها التي تدعي أنها إنما تقوم بما تقوم به من تنسيق وتواصل مع المحتل ، إنما تقوم به (خدمة) لشعبنا ونيابة عنه ! إن المقاومة في فعلها في الضفة الغربية إنما هي الكاشفة التي تكشف الزيف والنفاق ، وتطرد الخبث ، وتكنس النجس .

٢. **ضرب البيئة الحاضنة ومنع مؤازرتها**:

ومن الأهداف التي تعتقد هذه السطلة أنها قادرة على تحقيقها من فعلها هذا ؛ ضرب البيئة الحاضنة للمقاومة ، والتي تقدم الغالي والنفيس في سبيل حمايتها وتوفير سبل التطور والتعاظم لها ، وقد رأينا سلوك هذه الحاضنة في معركة "بأس جنين " الأخيرة ؛ فقد ترك الناس منازلهم مفوضين المقاومين فعل ما يرونه مناسباً لأمنهم ، إن ضرب هذه البيئة يعني التضيق على المقاومين ، وتلويث (ماءهم) الذي يسبحون فيه ، كما يعني أن من يستهدف هذه البيئة يريد أن يقول لها : هذا هو ثمن المقاومة وحماية المقاومين ! فمن يريد هنيء العيش ، والتجول في الأسواق والمولات ، والحدائق والمتنزهات ؛ فعليه أن يتخلى عن المقاومة ودعم المقاومين !!

٣. **تقديم أوراق اعتماد لما بعد أبو مازن** :

إن (رجالات) هذه السلطة ، تداخل أمرهم فأصبحوا كالسلطة ، كل يرى لنفسه أهمية ، وتقاتلوا على جلد (الدب) قبل صيده ، وكل منهم (يشد) اللحاف تجاهه ، وكلهم يعلم أن بقاء أي منهم ، أو تقدمه على منافسه ، مرتبطٌ بمقدار ما يقدم من براهين الطاعة وقرابينها ، وما يثبته من قدرة على التماهي مع أهداف المحتل ورعاته ـ غرباً وعرباً ـ لذلك ، يسنون أسنانهم ، ويبردون أظافرهم ، ويتسابقون في عرض الخدمات وتوصيل الطلبات (تقول عمال دلفري) لهذا المحتل ، علّهم يحظون برضاه ، وينظر لهم بعين العطف ، فيحمل أحدهم على دبابته بعد وفات (دبهم) .

هذه هي أهم الأهداف وباختصار، أما إن الأدوات والإجراءات؛ فنأتي عليها في المفصل التالي من هذه الورقة .

ثالثاً : الأدوات والإجراءات :

لقد عبأت سلطة الحكم الذاتي الكثير من الطاقات ، واجترحت كثيراً من الخطط والإجراءات في سبيل تحقيق هذه الأهداف وتلك الغيات ، ومن أهم تلك الأدوات والإجراءات ما يأتي :

١. **افتعال المشاكل الداخلية** :

لقد بدأت سلطة الحكم الذاتي وأجهزتها في سبيل تحقيق ما تصبو له ، وإثبات أن ما تقوم به ما هو إلا عبارة عن (حماية) للأمن المجتمعي ، وحفاظاً على نسيجه من التفكك ، بدأت بافتعال المشاكل بين الناس ، وبين أبناء الحي الواحد والقرية الواحدة ، ثم تَدخل كـ (مصلح) بين المتخاصمين ، وحاجزاً بين المتصارعين ، وقد امتلأت الفضائيات والدوريات بتصريحات من يدعون المسؤولية من أنهم لن يسمحوا بالنيل من الأمن المجتمعي ! أو تهديد السم الأهلي! وأخرجوا من جعبهم كل هذه الكليشيهات الصدئة ، المهم تبرير أفعالهم ، وتفسير سلوكهم ، لبيئة ـ بيئة المقاومة ـ هي من أشد البيئات ذكاءً وأكثرها تسيساً في المنطقة، لذلك لن تنطلي عليها هذه الحجج أو تلك التفسيرات .

٢. **تحريض البيئة المحلية** :

ومن أدواتهم في ضرب المقاومة ؛ تحريض البيئة الداخلية عليها ، وزرع الشقاق والخلاف بين المقاومة وبيئتها ، بطرق مباشرة أو غير مباشرة ، أما المباشر منها فهو تصوير هذه الثلة المجاهدة التي تمثل ضمير الشعب الحي ، بأنها مجموعة خارجة عن القانون !! ومهددة للسلم الأهلي !! وعائق أما تحقيق طموحات ورغبات الشعب !! وأما غير المباشر من طرق التحريض هذه ؛ فيكفي أن لا تتصدى أسلحة هذه السلطة وتتوجه بنادقها للمحتل ، وتتركه يعيث في الأرض فساداً ، لتوصل عبر سلوكها هذا رسالة للبيئة الحاضنة فحواها ومضمونها ؛ أن تبعات احتضان المقاومة والمقاومين يعني ، عنت العيش وعبث المحتل ، وخسارة الامتيازات ، ولكم ـ للشعب ـ حرية الاختيار .

٣. **تحييد وتصفية قدرات بشرية** :

ومن أخطر وسائل الاستهداف للمقاومة والمقاومين وبيئتهم الحاضنة ؛ التعرض لهم بالخشن من الإجراءات ، فهذا يعتقل ، وذلك يداهم منزله ، والآخر يُسهل للمحتل اعتقاله أو قتله عبر ما يقدم للعدو من معلومات عنه عبر أجهزة التنسيق ـ تذكروا تصريح أبو مازن حول هذه المسألة عندما قال : أنا (البعيد) أقدم لكم معلومات عمركم ما كنتوا تحلموا فيها !!ـ ولن نستدل كثيراً على هذه الإجراءات ، فمسلخ أريحا يقف شاهداً على استكلاب هذه الأجهزة على المقاومة والمقاومين .

٤. **عمل سيناريوهات ومسرحيات أمنية** :

وهذه طريق عمل تعتمدها الأجهزة الأمنية ، فتكتب سيناريو ، وتجمع ممثلين ، وتحضر المسرح ، وتطلق العرض ، ثم تبدأ باستثمار النتائج ، فحادث إطلاق نار هنا أو مظاهرة ضد (رمز) من رموز التنسيق الأمني وضباطه ؛ محكمة التمثيل والإخراج ، كفيلة

بارتفاع عقيرة (رجالات) هذه السلطة ، و(دب) الصوت ، (ويا غيرة الدين) ، فقد استهدف صاحب الطلقة الأولى وراعي (الأولة) ورمز النضال ، فتتجيش الجيوش وتعبئ القوات ، وتستعرض (الجبّات) في طول مدننا وقرانا ، بحثاً عمن هتك تلك (الحرمات) ! وعلى هذا المناول فقس ؛ فتفخيخ مركبة أو تفجير منزل أو ورشة ، متحكم في وقتها وأثرها ، كفيل أن يكون شرارة انطلاق الإجراءات الأمنية والقمعية ضد المقاومة وبيئتها المجتمعية .

رابعاً : المواجهة والإجراءات :

لمواجهة هذا الموقف المعقد ، والذي يشبه في التعاطي معه السير في حقل ألغام غير منظم ، فإننا نعتقد أن بعض الإجراءات التالية ـ منفردة أو مجتمعة ـ يمكن أن يساعد في كسر موجة التغول هذه ، والحد من إضرارها ، حيث من أهمها ما يأتي :

١. **جمع المعلومات** :

يجب أن تجمع المعلومات، عمن يقومون بهذه الأفعال ، ويتزعمونها ، لـ (تفضح) سرائرهم ، ويكشف زيف ادعائهم ، وليُظهروا أمام أبناء شعبنا على حقيقتهم ، فلا يستقيم أن يبقوا مختبئين خلف شعارات بائدة ــ وطنية ، مصلحة ، عشائرية ـ مخفين قبح فِعالهم ، يجب أن تُحرك هذا المياه الراكدة لتطفوا شوائبها على سطحها ، عندها يمكن التنقية ويقدر على (التصفية)، يجب أن تتمايز الصفوف .

٢. **توفير الغطاء السياسي للإجراءات** :

نعم ، إن المقاومة بقيادتها وكوادرها وبيئتها الحاضنة هي أم الولد وأبيه ، وهي الضنينة على الدماء والأعراض ، وهي التي تقدم المصلحة العامة على المنفعة الخاصة ، وهي التي لا تريد أن تصب الماء في طاحونة العدو ، ولكن ومع كل ذلك ، هي التي تعرف قبل غيرها بدقائق الأمور ، وهي التي تعرف بخفايا الصدور ، وهي القادرة على تسمية الأمور بمسمياتها ، وهي التي تمنح السلوك والإجراء شرعيته ، لذلك ، فإن المطلوب من قيادة المقاومة بكافة فصائلها أن توفر الغطاء لأي حراك القصد منه كشف الغطاء عن العملاء ـ الرسمين قبل غيرهم ، والكبار قبل الصغار ـ ، فقد أعذرت هذه القيادة لربها قبل شعبها ، وتحملت بعقلانيتها ما لم تتحمله قيادة مقاومة في تاريخ مقاومة أي احتلال ـ مطلق احتلال ـ ، لذلك يجب أن تضع نقطة على آخر السطر ، وتقلب الصفحة ، لتبدأ صفحة جديدة ، مقدمتها ومتنها وخلاصتها ؛ إما مع المحتل ؟ وإما مع الشعب ؟ وليتحمل كلٌ ثمن قراراته وجريرة إجراءاته .

٣. **الاستعانة بالأسر والعشائر والعائلات** :

إن شعبنا وعشائرنا وعائلاتنا والحمائل ؛ كلهم (طيور شلوة) وأبناء عز ، ولا يرضون بالضيم ولا الدنية ، ولا الذل والعمالة ، ولقد رأيناهم في كل معركة واشتباك ، وقد تنازلت عوائل كريمة في جبل الخليل عن ثارات وديات ، كرامة للمقاومة والشهداء ، وما نشاهده من تقنع منتسبي الأجهزة بالأقنعة عند مداهماتهم ومطارداتهم للمقاومين ومقراتهم ، إلّا دليل خوفهم من انكشاف سرهم ، وانفضاح أمرهم ، مما يلوث سمعة عشائرهم وعوائلهم ، لذلك ، يجب أن يُلجأ بعد الله إلى هذه العشائر والعوائل ، لتلجم هؤلاء المتطاولين على المقاومة ،

المتواطئين مع العدو ، فالتخرج عائلة كريمة من عوائل الخليل أو نابلس أو جنين أو غيرها من المدن ليقول كبيرها أو مختارها أو شيخها: إننا نبرأ إلى الله من كل متعاون مع محتل ، نهدر دمه ، بغض النظر عن انتمائه العائلي أو العشائري ، فضلاً عن مكان عمله ومنصبه وشغله ليقل هؤلاء الكبار هذا وليكشفوا الغطاء عن هذه الظاهرة المهينة ؛ ولنرى كيف سينكفئ كثيرٌ ، ويرتدع مخطئين .

٤. **فضح وتعرية مصادر المعلومات ـ الداخلية والخارجية ـ :**

إن هذه الأجهزة الأمنية ـ تمارس فعلها هذا بناء على معلومات جمعها مصادر لها يجولون بيننا ، ويتزيون بزينا ، ويأكلون معنا ، لا بل ويصلي بعضهم معنا في الصف الأول ، فضلاً عما تقدمه أجهزة العدو للسلطة من معلومات ومعطيات ، لذلك يجب فضح مصادر المعلومات هذه ، وإلقاء الحُرم الدنين قبل العائلي عليها ، ووصفها بأقذع الأوصاف ، وتجنب مخاطبتها أو التقرب منها ، ودفعها عن الأبواب ، يجب أن يصبحوا مثل (الشاة الجربة) ، فتنقطع مصادر معلومات العدو ، فضلا عن وكلائه ، وتفقأ عيونهم ، فنؤمن بيئتنا ، ونحمي مقاومتنا .

٥. **قمع وردع بعض الحالات :**

نعم يجب أن يردع المعتد ، ويقمع الصائل ، ليس مطلوباً أن نسيل دماء بعضنا بعضاً في شوارع مخيماتنا وقرانا ، فنفرح عدونا ، ونصبح ناراً تأكل بعضها بعضا ، ليطهو غيرنا طعامه عليها ، ولكن في المقابل ، مطلوب أن يؤدب غير المؤدب ، ويردع غير المروع ، ومن دافع عن ماله وعرضه وبيته فهو شهيد ، يكفي أن يعرف المعتد أنه سواجَه ولن يُسكت عن فعله واعتدائه ، فيرعوي ، ويرتدع ، ويخف غلواء عدوانه .

٦. **الانتقام من الأصيل لأثبات فشل الوكيل :**

كما يجب أن لا يُغفل عن العدو الأصيل، إنه يطلب من وكلائه التصرف نيابة عنه ، ليحمي نفسه ، وتقل أكلاف فعله ، لذلك يجب أن توجه نيران بنادقنا إلى صدره ، ويجب أن يُضغط عليه ليثبت له فشل أدواته ، فينقطع أمله منهم ومن كفاءتهم في حمايته ، فيعود لتصدر المشهد ، وقيادة الأعمال ، عندها نحقق أهدافاً ثلاثة : حقن داء بعضنا ، وتحصين بيئة عملنا ، والتَفرغُ لمقاتلة عدونا .

٧. **المقاطعة للأنشطة والفعاليات واللقاءات السلطة الرسمية منها وغير الرسمية :**

كما طالبنا بأن يلقى على الافراد المتعاونين مع العدو والعاملين معه الحُرم المجتمعي والديني والمقاطعة ؛ يجب أن تُقاطِع قيادات فصائل المقاومة فعاليات وأنشطة هذه السلطة الوكيلة ، فلا يستقيم أن نشارك في نشاطاهم ولقاءاتهم ، وأبناؤنا في مسلخ أريحا ، وسجون رام الله ، يجب أن يفهم قادة هذه السلطة أن ثمن الجلوس معهم والتحدث إليهم هو ، جلوس معتقلينا وأسرانا في أحضان عوائلهم ، وبين جدران منازلهم ، والسلام .

٨. **العمل بمقتضى "فقد جعلنا لوليه سلطاناً " و " ولكم في القصاص حياة " :**

إذا لم يرعوي المعتد ، ويمتنع الصائل ، ويكف صاحب الشر شره ، ولم تردعه عشيرته أو عائلته ، فهم ضبط النفس ضعفاً ، واستغل ضبط النفس وكظم الغيظ في زيادة غيره وعدوانه ، فسفك دماً ـ ولو ليس مميتاً ـ أو التسبب بسفك دم قد يكون هو الحل ، أو جزء من حل ، فقد

جعل الله لولي الدم سلطاناً ، فلا يسرف في القتل ، وليتحمل كل عواقب عمله ، وما جنته عليه نفسه ، نقطة انتهى.

٩. **التحركات الشعبية والتغطية الإعلامية:**

هذه الإجراءات وهذه الفعاليات ، كلها بحاجة إلى مواكبة شعبية ، ومؤازرة إعلامية ، فلا يجب أن يخلّى الفضاء للأدعياء ، يجب أن تفرد كامل المساحات ، ويفتح الهواء على مصارعيه لشرح الموقف ، وتقديم الرواية الحقيقية لما يراه المجتمع أمام ناظريه ، وما يعتمل في داخله من غضب ، فلا تترك الساحة ليصور الأدعياء ردع المعتد ، الأخ على يديه على أنه اعتداء وخطر على السلم الأهلي ، كما يجب أن يظهر أن القصاص من قاتل ، إنما جاء في سياق مواجهة صائل ، بعد استنفاد كل الحيل والوسائل .

خامساً : التوصيات :

١. وضع هذه الورقة على مشرحة البحث والتفصيل ، وعرض ما جاء فيها على ميزان المصلحة والمفسدة ، ليبنى على شيء مقتضاه .
٢. مقاطعة اللقاءات المحلية وغير المحلية الرسمية منها وغير الرسمية مع السلطة ، فليس هناك شيء يردون أن يقولونه لا نعرفه ، أو نريد أن نطالب به هم لم يسمعوا به من قبل ، إنه وقت الأفعال لا وقت الأقوال . .
٣. الحملات والمواكبة الإعلامية وتسمية الأمور بمسمياتها .
٤. بناء سردية مضادة لسردية السلطة والاحتلال .
٥. استخدام البعد العائلي والعشائري في ردع حالة التغول والاعتداء هذه .
٦. وضع الإجراءات العملية لحماية أصول المقاومة البشرية والمادية .
٧. إظهار الخطوط الحمر الخاصة بالمقاومة وبيئتها ، والتي يجب أن لا تُتُجاوز من كائن من كان .
٨. تقديم النموذج العملي الدال على العزم على حماية المقاومة وبيئتها وأصولها البشرية والمادية .

إننا أمام مرحلة مفصلية ، إذا لم يتم التصدي لها بكل عزم وحسم وإرادة ، والخوض فيها بناء على رؤية واستراتيجية واضحة تهدف إلى حماية أصول المقاومة البشرية والمادية وبيئتها في الضفة الغربية ، فسنصحو على مشهد لن تقوم بعده للمقاومة قائمة ، وسنعض على أصابعنا ندماً لتفويت الفرصة . والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ملاحظة :

كنا قد كتبنا ورقة في تاريخ ٠٩ ٠٧ ٢٠٢١ تحت عنوان " انهار سلطة الحكم الذاتي الفرص والتهديدات " نظن أن فيها ما يفيد للتعاطي مع هذا الموقف ، فيمكن الرجوع لها لمن يحب .

عبد الله أمين

٢١ ٠٧ ٢٠٢٣